

رؤى حول اللجنة الدولية للصليب الأحمر

منظمة لا غنى عنها

**"كريستالينا جورجييفا"، المفوضة الأوروبية
لشؤون التعاون الدولي والمساعدة الإنسانية
والاستجابة للواجب الإنساني أثناء الأزمات**



تقلدت السيدة "كريستالينا جورجييفا" العديد من المناصب في البنك الدولي قبل انضمامها للمفوضية الأوروبية في شباط/فبراير 2010، من بينها منصب الخبير الاقتصادي لشؤون البيئة ثم كبير الخبراء الاقتصاديين لشؤون البيئة ثم رئيس قطاع شؤون البيئة في منطقة شرق آسيا والمحيط الهادئ. وعملت في الفترة من عام 2000 حتى 2004 مديراً مسؤولاً عن الاستراتيجية البيئية والسياسات والإقراض بالبنك الدولي وأصبحت مديراً للبنك الدولي في روسيا الاتحادية عام 2004. وتولت منصب مدير التنمية المستدامة في الفترة من 2007 حتى 2008 وعينت نائباً لرئيس مجموعة البنك الدولي وسكرتيراً لها.

.....

إذا كان شن الحرب هو أسوأ الدوافع وأكثرها تنافياً مع طبيعة البشر، فإن التعاطف والتضامن هما أفضل علاج فعال للحرب وأكثرها استدامة. وتفخر اللجنة الدولية للصليب الأحمر بكونها رمزاً للتعاطف والتضامن وذلك بعد مضي 150 عاماً على تأسيسها استجابة للمعاناة الإنسانية التي سببتها معركة سولفرينو.

واليوم ونحن نحتفل بمرور 150 عاماً على تأسيس اللجنة الدولية، فنحن مطالبون بالاعتراف بالغرض الذي تأسست اللجنة الدولية من أجله والاحتفاء بإنجازاتها والإشادة بالعاملين بها والحديث عن التحديات التي ستحدد مستقبلها.

وبصفتي المفوضة الأوروبية لشؤون التعاون الدولي والمساعدة الإنسانية والاستجابة للواجب الإنساني أثناء الأزمات، تتاح لي العديد من الفرص للتعرف على عمل اللجنة الدولية في الميدان. فأنا أسعى لمقابلة مندوبي اللجنة الدولية أينما ذهبت في أشد بقاع الأرض يأساً

وأكثر مناطق الحرب سخونة وأبشع ساحات النزاع طويل الأمد. ودائمًا ما تذهلني الأمانة والشفافية التي يعملون بها وإخلاصهم واحترافيتهم.

وكانت أول تجربة ميدانية لي تدل على أن اللجنة الدولية منظمة لا غنى عنها في "أوش"، وهي مدينة تقع جنوب "فرغيزستان". لقد سافرت إلى هناك في صيف 2010، وذلك في بداية عملي كمفوضة أوروبية، بغرض تقييم الاحتياجات الإنسانية التي ازدادت من جراء ارتفاع وتيرة العنف الطائفي وأيضًا لتقديم المساعدات الأوروبية. ومثلما هو الحال في النزاعات الأخرى، كان مندوبو اللجنة الدولية أول من يعمل على الأرض وعندما وصلت كانوا منهمكين بالعمل على إنقاذ الأرواح من خلال علاج المصابين وتوصيل الغذاء والمياه إلى العائلات والمجتمعات المحلية المتضررة من الاشتباكات. كانت الأعيرة النارية تدوي على مسافات بعيدة بينما كنت ألتقي سكان "أوش" الذين كانت تخالجهم مشاعر خوف مبررة. وقد أخبرتني إحدى السيدات من السكان المحليين قائلة "المساعدات الأوروبية مهمة للغاية لنا في الوقت الراهن، ولكن وجودهم هنا له نفس الأهمية" قالت ذلك وهي تشير إلى أشخاص يرتدون سترات تحمل شعار الصليب الأحمر. وواصلت كلامها قائلة: "بغض النظر عن كل ما يقومون به، فإن مجرد وجودهم بين ظهرانينا يوفر لنا الحماية. فنحن نحتاج إليهم هنا". وفي ظل عالم اليوم الذي يشهد نزاعات وأزمات مركبة لا يمكن التنبؤ بها فنحن نحتاجهم أكثر من ذي قبل.

خدمة جليلة للإنسانية

وتزداد الاحتياجات بينما يزداد العالم ضعفًا في نفس الوقت. فقد ازداد تكرار الأزمات الإنسانية وشدها بسبب عوامل تغير المناخ والزيادة السكانية واتساع حجم المدن وانتقال الحروب من ساحات المعارك إلى مساكن المدنيين. ويزداد أيضًا عدد الأشخاص المتضررين ويكون السكان الأكثر فقرًا هم أول وأكبر المتضررين. وتعمل اللجنة الدولية حتى اليوم لصالح هؤلاء الناس وتضعهم على رأس أولوياتها ولا تضاهيها منظمة أخرى في التزامها وقدرتها على الوصول إليهم وتقديم مساعدات إنقاذ الأرواح وتوفير الحماية لهم ومواساتهم وبعث الأمل الذي هم في أمس الحاجة إليه. وتتمكن اللجنة الدولية بفضل الأنشطة واسعة النطاق التي تنفذها في مناطق النزاع وقربها من السكان الذي يحتاجون إلى المساعدة، من الاستجابة بشكل فعال يكون غالبًا على الفور لعدد كبير من الأزمات التي تتكشف، بدءًا من اندلاع العنف بشكل مفاجئ مثلما يحدث في سورية منذ العام الماضي، أو ليبيا قبل عامين، ووصولًا إلى الأزمات الممتدة مثل الوضع في اليمن وأفغانستان وباكستان.

المناصرة من خلال العمل

اللجنة الدولية لديها قدرات ميدانية مذهلة على جميع الجبهات ومنها الرعاية الطبية، وتوزيع الغذاء، وتوصيل المياه، ومرافق الصرف الصحي، ودعم سبل كسب العيش، وزيارة المحتجزين، وإعادة الروابط بين الأفراد المنفصلين بسبب العنف أو الكوارث. وعلى نفس القدر من الأهمية تكون القيم التي تجسدها اللجنة الدولية أكثر مما تفعل أي منظمة أخرى

وذلك بفضل تفاني العاملين بالمنظمة للقانون الدولي الإنساني وتمسكهم بمبادئ حياد وعدم تحيز المساعدات الإنسانية مما يمكن موظفي اللجنة الدولية من أداء عملهم في أحيان كثيرة في أماكن لا يسمح فيها لوكالات إغاثة أخرى بالعمل. ولإدراك مدى تميز اللجنة الدولية بهذه القيمة الإضافية، يكفي فقط النظر إلى الصومال التي مزقتها الحروب، والتي أعلنت الأمم المتحدة وقوع مجاعة بها في صيف 2011 وطردت حركة الشباب معظم العاملين بمجال الإغاثة في أنحاء كبيرة من البلاد. ولم يسمح في المناطق التي ضربتها أشد المجاعات قسوة سوى للجنة الدولية بتوصيل الغذاء لمئات الآلاف من الصوماليين الذين كانوا على حافة الموت. وقد سمح لها بذلك لأنه ينظر إليها باعتبارها منظمة محايدة ذات روابط راسخة مع المجتمعات المحلية وأيضاً لأن الميليشيات نفسها التي لا تعرف قانوناً سوى السلاح أقرت بأن موظفي اللجنة الدولية غير متحيزين ومن ثم سمحت لهم بأداء عملهم.

جعلني هذا الإخلاص للمبادئ الإنسانية كضرورة عملية وأخلاقية أنظر في أحيان كثيرة إلى اللجنة الدولية باعتبارها ضمير المجتمع الإنساني. ويعجبني أيضاً قدرة اللجنة الدولية على مواصلة التركيز على هذه المبادئ رغم تطبيقاتها في سياقات دائمة التغيير حيث يشكل المرتزقة والنزاع غير المتكافئ والتطرف والإرهاب عوامل جديدة تضع المزيد من التحديات على رأس التحديات التقليدية.

ولهذا فكلما واجهت قرارات صعبة خلال سنوات عملي الأولى كمفوضة للاتحاد الأوروبي، وجدت نفسي في أحيان كثيرة أجري مكالمة هاتفية مع السيد "جاكوب كلينبرغر" والآن مع خلفه السيد "بيتر ماورير" الرئيس الحالي للجنة الدولية.

الرابطة على مستوى العمليات والمبادئ

أعول على نصيحتهم المخلصة والرؤية الموجودة لديهم بسبب الرابطة القوية بين اللجنة الدولية وإدارة المساعدات الإنسانية بالمفوضية الأوروبية. ونعمل مع اللجنة الدولية في العديد من البقاع الساخنة على مستوى العالم ولكن بقدر أهمية ما يربطنا على مستوى العمليات فإن القواسم المشتركة بيننا على مستوى المبادئ لها نفس القدر من الأهمية. وبفضل ذلك، يمكنني أن أؤكد أن التضامن الأوروبي يساعد ضحايا النزاعات بأفضل وسيلة ممكنة.

وعندما أفكر في التزامنا بالمبادئ الإنسانية، أتذكر اليمن وهو بلد يضم مئات الآلاف من النازحين داخلياً الذين لا يستطيع العاملون في المجال الإنساني أن يصلوا إليهم بسبب انعدام الأمن واستمرار الاشتباكات بين الثوار الحوثيين والحكومة. لقد اجتمعت أنا والسيد "أنطونيو غوتيريس" مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين مع القادة الحوثيين واستطعنا إقناع هؤلاء الرجال الضخام ذوي اللحى الكثة المدججين بالأسلحة بالسماح للجنة الدولية بالوصول إلى المناطق التي يسيطرون عليها. وهذا النجاح لا يعني السيد "أنطونيو غوتيريس" أو يعني بقدر ما يعني اللجنة الدولية فقد أدرك القادة الحوثيون في نهاية المطاف أن مندوبي اللجنة الدولية لا يساندون طرفاً من الأطراف ولكنهم ينفذون الأرواح. وهذا مجرد مثال على تفوق القوة الناعمة للمبادئ التي تجسدها اللجنة الدولية على القوة الخسنة للسلاح.

إحدى أخطر الوظائف في جميع أنحاء العالم

إنقاذ الأرواح يعني في أحيان كثيرة لموظفي اللجنة الدولية المخاطرة بحياتهم. ففي اليمن وأيضاً الصومال وأفغانستان وباكستان والسودان وحديثاً في سورية، يجري استهداف العاملين في المجال الإنساني بشكل متزايد وفي أحيان كثيرة تطلق عليهم النيران أو يجري اختطافهم أو قتلهم. وهذا الأمر إنذار للمجتمع الإنساني غير أن الوضع يكون أسوأ للأفراد الذين يحتاجون إلى الرعاية التي انقطعت عنهم بعد إطلاق النيران على سيارات الإسعاف واستهداف عمال الإغاثة بشكل متعمد. وحين يوجد خطر توجد معاناة، والعاملون الذين يذهبون إلى هناك يكونون غير مسلحين وليس لديهم أجندة محددة بل إن غرضهم هو تقديم المساعدة فحسب وهؤلاء هم الأبطال الحقيقيون في عالمنا هذا، رغم أنهم يتحلون بالتواضع وغير معروفين بشكل كبير.

إنهم يستحقون منا كل احترام وبذل كل الجهود لمناصرتهم وحمايتهم وزيادة الوعي بشأن عملهم.

ما هي الخطوات القادمة؟

تفخر اللجنة الدولية بسجلها الحافل ولا تزال تحقق الإنجازات في خضم سياقات صعبة تتعاضد فيها الطلبات على خدماتها وتتنوع التحديات في ظل شح الموارد المالية. وبالتالي فستصبح هذه المنظمة التي لا غنى عنها محل اختبار من جديد في المستقبل.

لقد تسببت الأزمة الاقتصادية العالمية في تقويض قدرة الأفراد الأشد فقراً على الصمود وزيادة استضعافهم وجعلتهم أكثر عرضة للاعتماد على المساعدات الإنسانية. وتزداد الاحتياجات في حين تبذل البلدان المانحة كل ما في وسعها طوال الوقت من أجل استعادة النمو وتعاني الميزانيات المخصصة للمساعدات من الضغوط. ومن غير المحتمل أن يتراجع هذا التوجه خلال الأعوام القادمة رغم أنني أفتخر بوفاء أوروبا بالتزاماتها وعدم التنازل عن دورها كمانح للمساعدات الإنسانية وستظل سخية في عطايها. ولكن هناك مخاطر حقيقية حيث سيتعين على المنظمات الإنسانية الوصول إلى عدد أكبر من السكان في ظل شح الأموال. ويثير هذا الأمر تساؤلات حول قدرتنا على أداء عملنا بالفعالية المطلوبة والرد على هذه التساؤلات هو كفاءة المساعدات: فسوف يتعين تحقيق أقصى استفادة من كل سنت نستثمره وكل عملية ننفذها. ولا يساورني أدنى شك في أن اللجنة الدولية ستواصل القيام بذلك.

فبالترامن مع القيود الخارجية توجد أيضاً تحديات تتبع من داخل المجتمع الإنساني وهو سياق يزداد ازدحاماً حيث يتفاعل المانحون التقليديون مع المانحين الجدد ويتشابك التنسيق في كثير من الأحيان بين المنظمات الكبيرة والصغيرة سواء محلية أو دولية وتستغل بعض الأطراف الفاعلة الأغراض الإنسانية كذريعة لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية أو اقتصادية. ويهدد ذلك أمن العاملين في المجال الإنساني في الميدان فضلاً عن المخاطر التي يتعرض لها العاملون الفعليون في المجال الإنساني واحتمال تنحيتهم من جانب الأطراف الفاعلة سواء منها الدول أو الجيوش أو جماعات المصالح. وسوف تظل اللجنة الدولية في

مواجهة تلك المخاطر منظمة لا غنى عنها وراعية المبادئ الإنسانية ويظل الحوار وزيادة الوعي ومناصرة ذلك الحياد والاستقلال وعدم التحيز قاسماً مشتركاً بين جميع العاملين في المجال الإنساني.

وسيظل عالمنا عرضة للمخاطر لا سيما التوجه المقلق وهو أن مناطق العالم المعرضة لتغير المناخ والكوارث الطبيعية هي عرضة أيضاً لنشوب نزاعات مثل القرن الأفريقي ومنطقة الساحل واليمن وأجزاء من جنوب شرق آسيا. وهذا الخليط القابل للانفجار يتسبب في تراكم مشكلات جديدة لا يمكن التنبؤ بها ويتطلب حلولاً جديدة ملائمة للحقيقة سريعة التغير. وأحد هذه الحلول هو الاستثمار في القدرة على الصمود وهو مثال على المساعدات الذكية التي تدعم المجتمعات المحلية في مواجهة الكوارث المستمرة بشكل أفضل ومساعدة السكان على مساعدة أنفسهم. وأحد الجوانب المهمة للاستثمار في القدرة على الصمود هو مد جسور أقوى بين المساعدات الإنسانية والمساعدات التنموية. وتولي المفوضية الأوروبية هذه الأولوية اهتمامها الأكبر وتعد مجالاً آخر للتعاون مع اللجنة الدولية على تحقيق الهدف نفسه. وهذا الأمر طبيعي للغاية فنحن لا نستطيع وقف التغير المناخي أو منع نشوب الحروب ولكننا نستطيع أن نفعل شيئاً بخصوص مواجهة السكان لتلك الكوارث وتقليل ضعفهم وزيادة فرصهم للانتعاش والتنمية رغم كل المصاعب. ولهذا السبب تكون فرص نجاح بناء القدرة على الصمود عظيمة وأحد أهم المطالبات لنا في المجتمع الإنساني. ولا يساورني أدنى شك في أن اللجنة الدولية ستكون كمثال يقتدى به.

وخلال التاريخ الطويل الأليم من الحروب استوعبت أوروبا الدرس الصعب عن العيش في سلام. ونحن نضع على عاتقنا التزاماً بنشر قيم السلام في جميع ربوع العالم وهو الحلم الوحيد الذي يراود الناس. نحن فخورون بسجلنا في هذا الصدد ونفتخر بانضمامنا للجنة الدولية في الفوز بجائزة نوبل للسلام. إن أهدافنا المشتركة هي أفضل الأهداف وهي خدمة الإنسانية وتنفيذ ذلك دون أي غرض سوى إنقاذ الأرواح وتخفيف الآلام والمعاناة.